تحقق الصحابة من ضبط الرواة
أسبابه ووسائله

*محمد عودة أحمد الحوري**

ملخـص

قمت في هذا البحث بدراسة عناية الصحابة رضوان ا عليهم واهتمامهم بضبط الرواة. وجاء هذا البحث ليقف مع الأسباب التي دعت الصحابة إلى الاعتناء بالضبط ووسائلهم التي اتبعوها في ذلك، مما يظهر سبقَهم رضوان ا عليهم في تقعيد قواعد حفظ حديث رسول ا صلى ا عليه وسلم أن يلحقه زيادة أو نقص، فتبين في الدراسة تنوع الأسباب التي حملت الصحابة على التأكد من الضبط سواء لامتثالهم الأمر القرآني بالتثبت من الأخبار، أو حرصهم على حفظ السنة النبوية ودفع التساهل في نقلها، أو خشيتهم من نسيان الراوي أو خطئه لا تعمده الكذب، أو التأكد من ضبط من خالف علمه علما تلقاه الصحابي مباشرة من رسول ا صلى ا عليه وسلم، كما تبين تنوع الوسائل التي اعتمدوها لمعرفة ضبط الراوي: كالرجوع لمصدر الخبر مباشرة، أو قياس ضبط الراوي بضبط الثقات، أو شهادة الثقة وحلفه، أو بمقارنة المحفوظ للمكتوب أو العكس، أو بالاختبار.

الكلمـات الدالـة: الضبط، الصحابة، الحديث.

المقدمـــة

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أخبر النبي صلى ا عليه وسلم بأن في أمته ممن يجيء بعده كذّابين فحذر منهم ونهى عن قبول رواياتهم، وأعلمنا أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فوجب بذلك النظر في أحوال المحدثين، والتفتيش عن أمور الناقلين؛ احتياطا للدين وحفظا للشريعة من تلبيس الملْحدين(1)، ولما تكفل ا تعالى بحفظ هذا الدين، سخر لهذه الغاية أساطين الرواية وأعمدة الدراية، فعدوا القواعد وضبطوا الأحوال، ولما كان الصحابة رضوان ا عليهم الأساس المتين الذي صدر عنه علم الحديث رواية ودراية، أردت إبراز أثرهم في مجال التثبت من ضبط الرواة من حيث: الأسباب التي دفعتهم للتأكد من الضبط، والوسائل التي اعتمدوها لفحص هذا الضبط.

وقمت لأجل هذه الغاية باستعراض بعض كتب السنة المطهرة خاصة الكتب الستة وجمع النصوص التي تتعلق بموضوع الدراسة، ثم تحليلها واستنباط المعاني المستفادة منها.

واقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد، وفيه: تعريف الضبط، وطرق ضبط الراوي.

المطلب الأول: النبي صلى ا عليه وسلم يقعد لطرائق معرفة ضبط الراوي.

المطلب الثاني: أسباب اهتمام الصحابة بضبط الحديث.

المطلب الثالث: وسائل فحص الضبط عند الصحابة.

الخاتمة: وسجلت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد

أولا: تعريف الضبط

الضبطُ: لغة: لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء(2)

وعرفه ابن الأثيربقوله: (الضبط: وهو عبارة عن احتياط في باب العلم، وله طرفان: العلم عند السماع، والحفظ بعد العلم عند التكلم، حتى إذا سمع ولم يعلم لم يكن شيئا معتبرا كما لو سمع صياحا لا معنى له، وإذا لم يفهم اللفظ بمعناه على الحقيقة لم يكن ضبطا، وإذا شك في حفظه بعد العلم والسماع لم يكن ضبطا، والمطلق من الضبط يتناول الكامل؛ ولهذا لم يكن خبر من اشتدت غفلته خلقة أو مسامحة ومجازفة حجة لعدم القسم الأول من الضبط؛ ولهذا قصرت

* كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن. تاريخ استلام البحث 2009/2/10، وتاريخ قبوله 2009/6/30.

رواية من لم يعرف... ومطلق الضبط الذي هو شرط الراوي هو الضبط ظاهرا عند الأكثر، لأنه يجوز نقل الخبر بالمعنى...، فتلحقه تهمة تبديل المعنى بروايته قبل الحفظ، أو قبل العلم حين سمع؛ ولهذا المعنى قلّت الرواية عن أكثر الصحابة رضي ا عنهم لتعذر هذا المعنى...)[3] وقال ابن حجر: (والضبط: ضبطُ صدرٍ: وهو أن يثْبِت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء، وضبطُ كتابٍ: وهو صيانَتُه لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤَدي منه)[4].

ويمكن أن نعرف الضبط بأنه: حفظ الحديث سماعا أو كتابة، منذ تحمله إلى أدائه.

ثانيا: طرق معرفة الضبط

ولمعرفة ضبط الرواة والحكم عليهم بحسب تمكنهم من ضبط مروياتهم وضع النقاد طرائق أساسها قول الإمام الشافعي: (ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أمورا، منها... إذا شَرِك أهلَ الحفظ في حديث وافَقَ حديثَهم)[5] وقول الإمام مسلم: (وعلامة المنكر في حديث المحدث إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا، خالفت روايتُه روايتَهم أو لم تكد توافقها،...)[6].

فجعل كُلّ منهما طريقة معرفة ضبط الراوي: (أن تعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان؛ فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم، أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطا ثبتا، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه)[7].

ومن الأمور التي يعرف بها ضبط الرواة الاختبار، قال السخاوي: (ويعرف الضبط أيضا بالامتحان كما تقدم في المقلوب مع تحقيق الأمر فيه)[8].

ثالثا: هل اهتم الصحابة بالضبط دون العدالة؟

إن إفراد هذا البحث لبيان اهتمام الصحابة رضوان ا عليهم بضبط الرواة دون عدالتهم ذلك أن القرن الذي وجدوا فيه هو خير القرون كما أخبر النبي صلى ا عليه وسلم، وتعديل ا ورسوله للصحابة معلوم مشهور، ومن عدالتهم أن أحدهم لم يكن ليجرؤ أن يكثر من الحديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم خشية الزلل الناتج عن السهو والخطأ، فضلا عن أن يكذب في الحديث، بل وجد من امتنع عن الرواية عن رسول ا معللا بأن الحديث عن رسول ا شديد، والأخبار في ذلك كثيرة تؤكد أن عدالة القوم قد اشتهرت وعلمت ضرورة.

المطلب الأول
النبي صلى ا عليه وسلم يقعد لطرائق معرفة ضبط الراوي

وردت أحاديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم يمكن أن يستنبط منها طرائق الكشف عن الضبط، من ذلك:

أولا: معرفة ضبط الراوي بالرجوع إلى مصدر الحديث

وتظهر هذه الطريقة في حديث عبد ا بن عمرو بن العاص قال: قَالَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (يا عبدالله أَلم أُخْبر أَنك تَصوم النهار وتَقُوم الليلَ؟) فَقُلْتُ: بلَى يا رسولَ الله. قَالَ: (فَلَا تَفْعلْ صم وأَفْطر وقُم ونَم فَإِن لِجسدك علَيك حقا...)[9].

فيستفاد من هذا الحديث أنه يمكن الكشف عن ضبط الراوي بالعود بالخبر للمخْبَر عنه فيقارن حينئذ بين خبر الناقل وخبر القائل، وفي هذا فائدة أشار إليها الحافظ ابن حجر بقوله تعليقا على هذا الحديث: (قوله ألم أخبر فيه أن الحكم لا ينبغي إلا بعد التثبت؛ لأنه صلى ا عليه وسلم لم يكتف بما نقل له عن عبد ا حتى لقيه واستثبته فيه؛ لاحتمال أن يكون قال ذلك بغير عزم أو علّقه بشرط لم يطلع عليه الناقل ونحو ذلك)[10].

وقال العيني: (معناه حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنده ثبوته)[11].

ثانيا: معرفة ضبط الراوي بموافقة الثقات له

استفدت هذه الطريقة من حديث تميم الداري الذي ترويه فاطمة بنت قيس قالت: سمعتُ نداء الْمنَادي منَادي رسول الله صلى الله علَيه وسلم ينَادي الصلَاةَ جامعةً، فَخَرجتُ إِلَى الْمسجِد فَصليتُ مع رسول الله صلى الله علَيه وسلم فَكُنْتُ في صف النساء التي تَلي ظُهور الْقَومِ، فَلَما قَضى رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم صلَاتَه جلَس علَى الْمنْبرِ وهو يضحك فَقَالَ: (ليلْزم كُل إِنْسانٍ مصلاه) ثُم قَالَ: (أَتَدرون لِم جمعتُكُم؟) قَالُوا: الله ورسولُه أَعلَم. قَالَ: (إِني والله ما جمعتُكُم لِرغْبة ولَا لِرهبة ولَكن جمعتُكُم لِأَن تَميما الداري كَان رجلًا نَصرانيا فَجاء فَبايع وأَسلَم، وحدثَني حديثًا وافَقَ الذي كُنْتُ أُحدثُكُم عن مسيح الدجال: حدثَني أَنه ركب في سفينَة بحرِية مع ثَلَاثين رجلًا...) الحديث.[12]

فقوله صلى ا عليه وآله وسلم "وحدثَني حديثًا وافَقَ الذي كُنْتُ أُحدثُكُم" دليل على أن موافقة الراوي للثقات علامة على ضبطه مرويه، وا أعلم.

ثالثا: معرفة ضبط الراوي بشهادة الثقة

وتستفاد هذه الطريقة من حديث أَبِي هريرةَ أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم انْصرفَ مِن اثْنَتَينِ - أي من ركعتين - فَقَالَ لَه ذُو الْيدينِ: أَقَصرت الصلَاةُ أَم نَسِيتَ يا رسولَ الله؟ فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (أَصدقَ ذُو الْيدينِ؟) فَقَالَ الناس: نَعم. فَقَام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَصلى اثْنَتَينِ أُخْريينِ ثُم سلم ثُم كَبر فَسجد مثْلَ سجوده أَو أَطْولَ[13].

فظهر من هذا الحديث أن النبي صلى ا عليه وسلم استيقن من ضبط ذي اليدين بشهادة الصحابة له بذلك، يقول ابن تيمية: (إن علة الحديث إذا كانت من جهة الخوف من سوء حفظ الراوي، فإذا كان قد روي من وجهين مختلفين عن رجلين عدلين أدى كل منهما مثل ما أدى الاخر كان ذلك دليلا على أن كلًا منهما حفظ ما حدثه ولم يخنه حفظه في هذا الموضوع؛ ولهذا لما خشي النبي صلى ا عليه وسلم أن لا يكون ذو اليدين ضبط ما قاله استشهد بغيره من الحاضرين)[14].

رابعا: معرفة ضبط الراوي بحلف الثقة

وتظهر هذه الطريقة من حديث أَنَسِ بنِ مالِك قَالَ: نُهِينَا أَن نَسأَلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن شَيء، فَكَان يعجِبنَا أَن يجِيء الرجلُ من أَهلِ الْبادية الْعاقلُ فَيسأَلَه ونَحن نَسمع، فَجاء رجلٌ من أَهلِ الْبادية فَقَالَ: يا محمد، أَتَانَا رسولُك فَزعم لَنَا أَنك تَزعم أَن الله أَرسلَك، قَالَ: (صدقَ) قَالَ: فَمن خَلَقَ السماء؟ قَالَ: (الله) قَالَ: فَمن خَلَقَ الْأَرض؟ قَالَ: (الله) قَالَ: فَمن نَصب هذه الْجِبالَ وجعلَ فيها ما جعلَ؟ قَالَ: (الله) قَالَ: فَبِالذي خَلَقَ السماء وخَلَقَ الْأَرض ونَصب هذه الْجِبالَ آلله أَرسلَك؟ قَالَ: (نَعم)... ثم سأله عن فرضية الصلاة والصيام والزكاة والحج كل ذلك يقول الأعرابي: فبالذي أرسلك آ أمرك بهذا؟ ويجيبه النبي صلى ا عليه وسلم يقول: نعم[15].

ففي إقراره صلى ا عليه وسلم لهذا السائل أن يقسم عليه أن يصدقه في كونه رسولا للتأكيد وتقرير الأمر، دليل على أنه يجوز استحلاف من يوثق بدينه للتأكد من صدق ما أخبر به يقول العيني في الأحكام المستفادة من هذا الحديث: (فيه الاستحلاف على الخبر لعلم اليقين**)**[16].

المطلب الثاني

أسباب اهتمام الصحابة بضبط الحديث

جاء اهتمام الصحابة رضوان ا تعالى عليهم بضبط الحديث محددوا بعدة عوامل أبرزها:

أولا: الاستجابة المباشرة لأمر ا عز وجل وأمر رسوله صلى ا عليه وسلم في التثبت من الأخبار، قال تعالى (يا أَيها الذين آمنُوا إِن جاءكُم فَاسقٌ بِنَبإٍ فَتَبينُوا أَن تُصيبوا قَوما بِجهالَة فَتُصبِحوا علَى ما فَعلْتُم نَادمين) (الحجرات: 6)

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه)[17].

ولا شك أن الصحابة رضوان ا عليهم أحق من طبق أوامر ا جل وعز وامتثلها.

ثانيا: حرصهم على حفظ السنة النبوية ودفع التساهل في روايتها

ويعد الشيخان أبو بكر وعمر - رضي ا عنهما- أول من أرسى قواعد هذا المبدأ، كما وصفهما الإمام الذهبي بقوله في حق أبي بكر: (... مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة، فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب ا كما تقول الخوارج)[18].

ويقول عن عمر: (وأين مثل أبي حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر، وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، فروى الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلّم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات... أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر... وقد كان عمر من وجله أن يخطىء الصاحب على رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم يأمرهم أن يقلوا الرواية عن نبيهم، ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن)[19].

وقد صرح عمر بذلك، فقال لأبي موسى رضي ا عنهما: (إِني لَم أَتهمك، ولَكن الْحديثَ عن رسول الله - صلى الله علَيه وسلم - شَديد)[20].

ويقول ابن عبد البر تعليقا على فعل عمر: (فيمكن أن يكون عمر مع احتياطه في الدين يخشى أن يختلقوا الكذب على رسول ا صلى ا عليه وسلم عند الرهبة والرغبة، أو طلبا للحجة وفرارا إلى الملجأ والمخرج مما دخلوا فيه لقلة علمهم بما في ذلك عليهم؛ فأراد عمر أن يريهم أن من فعل شيئا ينكر عليه ففزع إلى الخبر عن رسول ا صلى ا عليه وسلم ليثبت له بذلك فعله وجب التثبت فيما جاء به إذا لم تعرف حاله حتى يصح قوله فأراهم ذلك، ووافق أبا موسى

وإن كان عنده معروفا بالعدالة غير متهم ليكون ذلك أصلا عندهم)[21].

ويقول ابن تيمية: (وكان عمر بن الخطاب يستدعى الحديث من أبى هريرة ويسأله عنه ولم ينهه عن رواية ما يحتاج إليه من العلم الذى سمعه من النبى ولا توعده على ذلك، ولكن كان عمر يحب التثبت فى الرواية حتى لا يجترىء الناس فيزاد فى الحديث؛ ولهذا طلب من أبى موسى الأشعرى من يوافقه على حديث الاستئذان مع أن أبا موسى من أكابرهم وثقاتهم باتفاق الائمة)[22].

ثالثا: خشيتهم من خطأ الراوي لا تعمد الكذب

وقد نصت عائشة رضي ا عنها على ذلك في غير حديث أوضحها أنه لما بلغها قول ابن عمر (إن الْميتَ ليعذب ببكاء أَهله) قالت: فَقَالَتْ: لَا واللهِ ما قَالَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَط (إن الْميتَ يعذب ببكاء أَحد) ولكنه قَالَ: (إِن الْكَافر يزِيده الله ببكاء أَهله عذَابا)... وفيه قال القاسم بن محمد: لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت: إِنكُم لَتُحدثُونِي عن غَيرِ كَاذبِين ولَا مكَذبِين ولَكن السمع يخْطئُ)[23].

رابعا: التأكد من ضبط من خالف علمه ما تلقاه الصحابي مباشرة من رسول ا صلى ا عليه وسلم.

وتعد قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم أصلا في هذا الباب ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب يقول: سمعتُ هشَام بن حكيمِ بنِ حزامٍ يقْرأُ سورةَ الْفُرقَانِ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَاستَمعتُ لِقراءته فَإِذَا هو يقْرأُ علَى حروف كَثيرة لَم يقْرِئْنيها رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم فَكدتُ أُساوِره في الصلَاة فَتَصبرتُ حتى سلم، فَلَببتُه بِرِدائِه فَقُلْتُ: من أَقْرأَك هذه السورةَ التي سمعتُك تَقْرأُ؟ قَالَ: أَقْرأَنيها رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم. فَقُلْتُ: كَذَبتَ فَإِن رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم قَد أَقْرأَنيها علَى غَيرِ ما قَرأْتَ فَانْطَلَقْتُ بِه أَقُوده إِلَى رسول الله صلى الله علَيه وسلم، فَقُلْتُ: إِني سمعتُ هذَا يقْرأُ بِسورة الْفُرقَانِ علَى حروف لَم تُقْرِئْنيها. فَقَالَ رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم: (أَرسلْه، اقْرأْ يا هشَام) فَقَرأَ علَيه الْقراءةَ التي سمعتُه يقْرأُ، فَقَالَ رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم: (كَذَلك أُنْزِلَتْ) ثُم قَالَ:(اقْرأْ يا عمر) فَقَرأْتُ الْقراءةَ التي أَقْرأَني، فَقَالَ رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم: (كَذَلك أُنْزِلَتْ إِن هذَا الْقُرآن أُنْزِلَ علَى سبعة أَحرف فَاقْرءوا ما تَيسر منْه)[24].

فيلحظ في هذه القصة أن عمر لما سمع علما مخالفا لما هو عنده مما تلقاه مباشرة من في المصطفى أراد أن يتأكد من ضبط من خالفه في هذا العلم، فرجع به للمصدر الذي تلقيا عنه لمعرفة الضبط، ولم ينكر النبي صلى ا عليه وسلم عليه ذلك.

قال ابن حجر: (وكان عمر شديدا في الأمر بالمعروف، وفعل ذلك عن اجتهاد منه لظنه أن هشاما خالف الصواب؛ ولهذا لم ينكر عليه النبي صلى ا عليه وسلم بل قال له أرسله، قوله "كذبت" فيه إطلاق ذلك على غلبة الظن أو المراد بقوله كذبت أي أخطأت؛ لأن أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ، قوله "فإن رسول ا صلى ا عليه وسلم قد أقرأنيها " هذا قاله عمر استدلالا على ما ذهب إليه من تخطئة هشام وإنما ساغ له ذلك لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته بخلاف هشام فإنه كان قريب العهد بالإسلام، فخشي عمر من ذلك أن لا يكون أتقن القراءة بخلاف نفسه فإنه كان قد أتقن ما سمع، وكان سبب اختلاف قراءتهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول ا صلى ا عليه وسلم قديما ثم لم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده، ولأن هشاما من مسلمة الفتح فكان النبي صلى ا عليه وسلم أقرأه على ما نزل أخيرا فنشأ اختلافهما من ذلك)[25].

خامسا: خوفهم من أن يدخلوا في قوله صلى ا عليه وسلم (من حدثَ عني حديثًا وهو يرى أَنه كذب فَهو أَحد الْكَاذبِين)[26] وفي رواية (فَهو أَحد الْكَذابِين)[27] فيشملهم الوعيد الشديد المصرح به في قوله صلى ا عليه وسلم:(إِن كَذبا علَي لَيس ككَذبٍ علَى أَحد من كَذَب علَي متَعمدا فَلْيتَبوأْ مقْعده من النارِ)[28].

يقول طاهر الجزائري في حق الصحابة رضي ا عنهم: (أفما ترى تشديد القوم في الحديث وتوقي من أمسك كراهية التحريف أو الزيادة في الرواية أو النقصان لأنهم سمعوه عليه السلام يقول من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)[29].

المطلب الثالث
وسائل فحص ضبط الراوي عند الصحابة

وقفت على مجموعة من الوسائل التي استخدمها الصحابة لفحص الضبط، هي:

أولا: التأكد من ضبط الراوي بالرجوع إلى مصدر النقل

رويت عن الصحابة رضوان ا عليهم عدة أحاديث تأكدوا فيها من حفظ من حدثهم بالرجوع إلى مصدر الحديث والنقل، ومن هذه الأحاديث:

1- حديث زينب زوجة عبد ا بن مسعود الذي يرويه أبو سعيد الخدري - رضي ا عنهم- قال: خَرج رسولُ الله

صلى الله علَيه وسلم في أَضحى أَو فطْرٍ إِلَى الْمصلى ثُم انْصرفَ فَوعظَ الناس وأَمرهم بِالصدقَة، فَقَالَ: (أَيها الناس تَصدقُوا) فَمر علَى النساء فَقَالَ: (يا معشَر النساء تَصدقْن فَإِني رأَيتُكُن أَكْثَر أَهل النارِ...) ثُم انْصرفَ فَلَما صار إِلَى منْزِله جاءتْ زينَب امرأَةُ ابن مسعود تَستَأْذن علَيه... فَأُذن لَها قَالَتْ: يا نَبِي الله إِنك أَمرتَ الْيوم بِالصدقَة، وكَان عنْدي حلي لِي فَأَردتُ أَن أَتَصدقَ بِه فَزعم ابن مسعود أَنه وولَده أَحق من تَصدقْتُ بِه علَيهِم، فَقَالَ النبي صلى الله علَيه وسلم: (صدقَ ابن مسعود زوجك وولَدك أَحق من تَصدقْت بِه علَيهِم)[30].

2- وحديث عمرِو بنِ أُميةَ قَالَ: مر عثْمان بن عفان، أَو عبد الرحمنِ بن عوف بِمرط واستَغْلاه، فَمر بِه علَى عمرِو بنِ أُميةَ، فَاشْتَراه، فَكَساه امرأَتَه سخيلَةَ بِنْتَ عبيدةَ بنِ الْحارِث بنِ الْمطلب، فَمر بِه عثْمان، أَو عبد الرحمنِ بن عوف، فَقَالَ: ما فَعلَ الْمرطُ الذِي ابتَعتَ؟ قَالَ عمرو: تَصدقْتُ بِه علَى سخيلَةَ بِنْت عبيدةَ، فَقَالَ: إِن كُلَّ ما صنَعتَ إِلَى أَهلك صدقَةٌ؟ قَالَ عمرو: سمعتُ رسولَ ا صلى ا علَيه وسلم يقُولُ ذَلك، فَذَكَر ما قَالَ عمرو لِرسول ا صلى ا علَيه وسلم، فَقَالَ: (صدقَ عمرو، كُلُّ ما صنَعتَ إِلَى أَهلك فَهو صدقَةٌ علَيهِم)[31].

3- حديث نافع مولى ابن عمر قال: كَان ابن عمر يكْرِي أَرضه بِبعضِ ما يخْرج منْها، فَبلَغَه أَن رافع بن خَديجٍ يزجر عن ذَلك وقَالَ نَهى رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم عن ذَلك، قَالَ – أي ابن عمر -: كُنا نُكْرِي الْأَرض قَبلَ أَن نَعرِفَ رافعا، ثُم وجد في نَفْسه فَوضع يده علَى منْكبِي حتى دفعنَا إِلَى رافعٍ فَقَالَ لَه عبد الله: أَسمعتَ النبِي صلى الله علَيه وسلم نَهى عن كراء الْأَرضِ؟ فَقَالَ رافع: سمعتُ النبِي صلى الله علَيه وسلم يقُولُ: (لَا تُكْروا الْأَرض بِشَيء)[32].

4- ومنها حديث جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبدا ... فقلت أَخْبِرني عن حجة رسول الله صلى الله علَيه وسلم، فَقَالَ بِيده فَعقَد تسعا، فَقَالَ: إِن رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم مكَثَ تسع سنين لم يحج، ثُم أَذن في الناسِ في الْعاشرة أَن رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم حاج... وقَدم علي من الْيمنِ بِبدنِ النبِي صلى الله علَيه وسلم فَوجد فَاطمةَ رضي الله عنْها ممن حل ولَبِستْ ثيابا صبِيغًا واكْتَحلَتْ فَأَنْكَر ذَلك علَيها، فَقَالَتْ: إِن أَبِي أَمرني بِهذَا. قَالَ: فَكَان علي يقُولُ بِالْعراق: فَذَهبتُ إِلَى رسول الله صلى الله علَيه وسلم محرشًا علَى فَاطمةَ لِلذي صنَعتْ مستَفْتيا لِرسول الله صلى الله علَيه وسلم فيما ذَكَرتْ عنْه فَأَخْبرتُه أَني أَنْكَرتُ ذَلك علَيها، فَقَالَ: (صدقَتْ صدقَتْ...)[33].

5- وحديث أُبي بنِ كَعبٍ أَن رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم قَرأَ يوم الْجمعة براءةٌ وهو قَائِم يذَكِّر بِأَيامِ الله وأُبي بن كَعبٍ وجاه النبي صلى الله علَيه وسلم وأَبو الدرداء وأَبو ذَر، فَغَمز أُبي بن كَعبٍ أَحدهما فَقَالَ: متَى أُنْزِلَتْ هذه السورةُ يا أُبي فَإِني لَم أَسمعها إِلا الْآن؟ فَأَشَار إِلَيه أَن اسكُتْ، فَلَما انْصرفُوا قَالَ: سأَلْتُك متَى أُنْزِلَتْ هذه السورةُ فَلَم تُخْبِر، فَقَالَ أُبي: لَيس لَك من صلَاتك الْيوم إِلا ما لَغَوتَ[34]، فَذَهبتُ إِلَى رسول الله صلى الله علَيه وسلم فَذَكَرتُ ذَلك لَه وأَخْبرتُه بِالذي قَالَ أُبي فَقَالَ: (صدقَ أُبي)[35].

6- وكذلك حديث نافع أن رجلا حدث ابن عمر: أن أبا سعيد الخدري يحدث هذا الحديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال نافع: فانطلق ابن عمر وذاك الرجل وأنا معهم حتى دخلنا على أبي سعيد الخدري فقال ابن عمر لأبي سعيد: أرأيت حديثا حدثنيه هذا الرجل أنك تحدثه عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أسمعته؟ قال أبو سعيد: وماهو؟ فقال ابن عمر: بيع الذهب بالذهب والورق بالورق، فأشار أبو سعيد بأصبعه إلى عينيه وإلى أذنيه، فقال: بصر عينى وسمع أُذُنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ:(لَا تَبِيعوا الذهب بِالذهبِ ولَا الْورِقَ بِالْورِقِ إِلَا مثْلًا...)[36].

فيلحظ في هذه الأحاديث جميعا أن الصحابة رضي ا عنهم رجالا ونساءا إذا شكوا في خبر مخبر من حيث الثبوت أو الفهم عن رسول ا صلى ا عليه وسلم لعارض يظنونه من سهو ونحوه يسارعون بالرجوع إلى مصدر النقل لتيقن العلم، سواء بالرجوع إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم في حياته كما في حديث زينب وعثمان وجعفر بن محمد عن أبيه وأُبي، أو إلى من أخبر عنه بعد مماته كما في حديث أبي سعيد وابن عمر، وا أعلم.

ثانيا: معرفة ضبط الراوي بالرجوع إلى من هو أعلم وأحفظ

ومن الأحاديث التي وقفت عليها في هذا الباب:

1- حديث رِفَاعةَ بنِ رافعٍ؛ قَالَ: بينَا أَنَا عنْد عمر بنِ الْخَطابِ إِذْ دخَلَ علَيه رجلٌ، فَقَالَ: يا أَمير الْمؤْمنين، هذَا زيد بن ثَابِت يفْتي الناس في الْمسجِد بِرأْيِه في الْغُسل من الْجنَابة، فَقَالَ عمر: علَي بِه، فَجاء زيد، فَلَما رآه عمر قَالَ: أَي عدو نَفْسه، قَد بلَغْتَ أَن تُفْتي الناس بِرأْيِك؟ فَقَالَ: يا أَمير الْمؤْمنين، بِالله ما فَعلْتُ، ولَكني سمعتُ من أَعمامي حديثًا، فَحدثْتُ بِه؛ من أَبِي أَيوب، ومن أُبي بنِ كَعبٍ، ومن رِفَاعةَ بنِ رافعٍ، فَأَقْبلَ عمر علَى رِفَاعةَ بنِ رافعٍ فَقَالَ: وقَد كُنْتُم تَفْعلُون ذَلك، إِذَا أَصاب أَحدكُم من الْمرأَة فَأَكْسلَ لَم يغْتَسلْ؟ فَقَالَ: قَد كُنا نَفْعلُ ذَلك علَى عهد رسول ا ـ صلى ا عليه وسلم، فَلَم يأْتنَا

من ا ـ فيه تَحرِيم، ولَم يكُن من رسول ا ـ صلى ا عليه وسلم فيه نَهي، قَالَ: ورسولُ ا ـ صلى ا عليه وسلم يعلَم ذَاكَ؟ قَالَ: لاَ أَدرِي، فَأمر عمر بِجمعِ الْمهاجِرِين والأَنْصارِ، فَجمعوا لَه، فَشَاورهم، فَأَشَار الناس، أَن لاَ غُسلَ في ذَلِك، إِلا ما كَان من معاذ، وعلي، فَإِنهما قَالا: إِذَا جاوز الْخِتَان الْخِتَان فَقَد وجب الْغُسلُ، فَقَالَ عمر: هذَا وأَنْتُم أَصحاب بدرٍ، وقَد اخْتَلَفْتُم، فَمن بعدكُم أَشَد اخْتلاَفًا، قَالَ: فَقَالَ علي: يا أَمير الْمؤْمنين، إِنه لَيس أَحد أَعلَم بِهذَا من شَأْنِ رسول ا ـ صلى ا عليه وسلم، من أَزواجِه، فَأَرسلَ إِلَى حفْصةَ فَقَالَتْ: لاَ علْم لِي بِهذَا، فَأَرسلَ إِلَى عائِشَةَ فَقَالَتْ: إِذَا جاوز الْخِتَان الْخِتَان فَقَد وجب الْغُسلُ، فَقَالَ عمر: لاَ أَسمع بِرجلٍ فَعلَ ذَلِك، إِلا أَوجعتُه ضربا[37].

ويعد قول علي: يا أمير المؤمنين إنه ليس أحد أعلم بهذا من شأن رسول ا صلى ا عليه وسلم من أزواجه وجوب الرجوع إلى الأعلم والأحفظ.

2- وحديث عائِشَة قَالَتْ دخَلَتْ علَي عجوزانِ من عجزِ يهود الْمدينَة، فَقَالَتَا لِي: إِن أَهلَ الْقُبورِ يعذبون في قُبورِهم فَكَذبتُهما ولَم أُنْعم أَن أُصدقَهما، فَخَرجتَا ودخَلَ علَي النبِي صلى الله علَيه وسلم، فَقُلْتُ لَه: يا رسولَ الله إِن عجوزينِ وذَكَرتُ لَه، فَقَالَ: (صدقَتَا إِنهم يعذبون عذَابا تَسمعه الْبهائِم كُلها) فَما رأَيتُه بعد في صلَاة إِلا تَعوذَ من عذَابِ الْقَبرِ[38]. فظاهر عود عائشة إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم بوصفه الأعلم، وا أعلم.

ثالثا: معرفة ضبط الحديث بعرض المحفوظ على الكتاب

وفيه حديث رافع بن خديج مع مروان بن الحكم أَن مروان بن الْحكَمِ خَطَب الناس فَذَكَر مكةَ وأَهلَها وحرمتَها ولَم يذْكُرِ الْمدينَةَ وأَهلَها وحرمتَها، فَنَاداه رافع بن خَديجٍ، فَقَالَ: ما لِي أَسمعك ذَكَرتَ مكةَ وأَهلَها وحرمتَها ولَم تَذْكُرِ الْمدينَةَ وأَهلَها وحرمتَها وقَد حرم رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم ما بين لَابتَيها وذَلِك عنْدنَا في أَديمٍ خَولَانِي إِن شئْتَ أَقْرأْتُكَه، قَالَ: فَسكَتَ مروان، ثُم قَالَ: قَد سمعتُ بعض ذَلِك[39].

فظاهر أن رافعا رضي ا عنه كشف قصور ضبط مروان مستشهدا على ذلك بما هو مكتوب عنده.

رابعا: معرفة ضبط الحديث بعرض الكتاب على المحفوظ

وقد ظهر ذلك فيما أخرجه الخطيب البغدادي بسند صحيح عن سعيد بن أبي الحسن، قال: لم يكن من أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم أكثرمن أبي هريرة حديثا عن رسول ا صلى ا عليه، وإن مروان زمن هو على المدينة أراد أن يكتبه حديثه فأبى، وقال: ارووا كما روينا، فلما أبى عليه تغفله فأقعد له كاتبا لقنا ثقفا ودعاه، فجعل أبو هريرة يحدثه ويكتب الكاتب حتى استفرغ حديثه أجمع، قال: ثم قال مروان: تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع؟ قال: وقد فعلتم؟! قال: نعم. قال: فاقرؤوه علي إذْ، قال: فقرأوه عليه، فقال أبو هريرة: أما إنكم قد حفظتم وإن تطعني تمحه قال فمحاه[40].

فظهر من هذه الحكاية كيف فحص أبو هريرة صحة المكتوب بعرضه على حفظه فلما وافق المكتوب المحفوظ أقر بصحته.

خامسا: معرفة ضبط الراوي بموافقة الثقات له

وفيه 1- حديث هشَامِ بن عروة عن أَبِيه، قَالَ: كَان أَبو هريرةَ يحدثُ، ويقُولُ: اسمعي يا ربةَ الْحجرة اسمعي يا ربةَ الْحجرة، وعائِشَةُ تُصلي، فَلَما قَضتْ صلَاتَها، قَالَتْ لِعروةَ: أَلَا تَسمع إِلَى هذَا ومقَالَته آنفًا، إِنما كَان النبِي صلى الله علَيه وسلم يحدثُ حديثًا لَو عده الْعاد لَأَحصاه [41].

وقد بوب النووي عليه بقوله: (باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم) ثم قال: (اسمعى يا ربة الحجرة) - يعنى عائشة - مراده بذلك تقوية الحديث باقرارها ذلك وسكوتها عليه، ولم تنكر عليه شيئا من ذلك سوى الاكثار من الرواية فى المجلس الواحد؛ لخوفها أن يحصل بسببه سهو ونحوه)[42].

2- وحديث نافع يقول: حدثَ ابن عمر أَن أَبا هريرةَ رضي الله عنْهم يقُولُ: من تَبِع جنَازةً فَلَه قيراطٌ، فَقَالَ: أَكْثَر أَبو هريرةَ علَينَا، فَصدقَتْ - يعني عائِشَةَ - أَبا هريرةَ، وقَالَتْ: سمعتُ رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم يقُولُه، فَقَالَ ابن عمر رضي الله عنْهما: لَقَد فَرطْنَا في قَرارِيطَ كَثيرة[43].

وفي رواية الإمام أحمد: فَقَالَ لَه ابن عمر رضي الله عنْهم: أَبا هريرةَ انْظُر ما تُحدثُ عن رسول الله صلى الله علَيه وسلم، فَقَام إِلَيه أَبو هريرةَ حتى انْطَلَقَ بِه إِلَى عائِشَةَ، فَقَالَ لَها: يا أُم الْمؤْمنين أَنْشُدك بِالله أَسمعت رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم يقُولُ من تَبِع جنَازةً فَصلى علَيها فَلَه قيراطٌ فَإِن شَهد دفْنَها فَلَه قيراطَانِ؟ فَقَالَت: اللهم نَعم، فَقَالَ أَبو هريرةَ: إِنه لَم يكُن يشْغَلُني عن رسول الله صلى الله علَيه وسلم غَرس الْودي ولَا صفْقٌ بِالْأَسواق، إِني إِنما كُنْتُ أَطْلُب من رسول الله صلى الله علَيه وسلم كَلمةً يعلمنيها، وأُكْلَةً يطْعمنيها، فَقَالَ لَه ابن عمر: أَنْتَ يا أَبا هريرةَ كُنْتَ أَلْزمنَا لِرسول الله صلى الله علَيه وسلم وأَعلَمنَا بِحديثه[44].

يقول ابن حجر: (وفيه استغراب العالم ما لم يصل إلى علمه، وعدم مبالاة الحافظ بانكار من لم يحفظ، وفيه ما كان

الصحابة عليه من التثبت في الحديث)[45].

ففي هاتين الحكايتين عن أبي هريرة نلحظ كيف عمد أبو هريرة إلى عرض حديثه على الثقات الحفاظ ممثلين بعائشة طلبا لموافقتهم ليستدل بذلك على صحة روايته وصدق نقله، وا أعلم.

3- وحديث طَاوسٍ قَالَ: جاء هذَا إِلَى ابنِ عباسٍ - يعني بشَير بن كَعبٍ - فَجعلَ يحدثُه، فَقَالَ له ابن عباسٍ: عد لِحديث كَذَا وكَذَا، فَعاد لَه، ثُم حدثَه، فَقَالَ لَه: عد لِحديث كَذَا وكَذَا، فَعاد لَه، فَقَالَ لَه: ما أَدرِي أَعرفْتَ حديثي كُله وأَنْكَرتَ هذَا، أَم أَنْكَرتَ حديثي كُله وعرفْتَ هذَا؟! فَقَالَ لَه ابن عباسٍ: إِنا كُنا نُحدثُ عن رسول الله صلى الله علَيه وسلم إِذْ لَم يكُن يكْذَب علَيه، فَلَما ركب الناس الصعب والذلُولَ تَركْنَا الْحديثَ عنْه[46].

4- وحديث أَبِي وائِلٍ، قَالَ: قَالَ عبدالله رضي الله عنْه: من حلَفَ علَى يمينٍ يستَحق بِها مالًا وهو فيها فَاجِر لَقي الله وهو علَيه غَضبان، فَأَنْزلَ الله تَصديقَ ذَلِك (إِن الذين يشْتَرون بِعهد الله وأَيمانهم ثَمنًا قَليلًا) فَقَرأَ إِلَى (عذَاب أَليم)، ثُم إِن الْأَشْعثَ بن قَيسٍ خَرج إِلَينَا، فَقَالَ: ما يحدثُكُم أَبو عبدالرحمن؟ قَالَ: فَحدثْنَاه، قَالَ: فَقَالَ صدقَ لَفي والله أُنْزِلَتْ: كَانَتْ بيني وبين رجلٍ خُصومةٌ في بِئْرٍ...[47].

فكل من ابن عباس والأشعث تثبتا من حفظ المحدثين بموافقة حديثيهما لما عندهما.

سادسا: معرفة ضبط الراوي بشهادة الثقة أو حلفه

وفيه عن قَبِيصةَ بنِ ذُؤَيبٍ قَالَ: جاءت الْجدةُ إِلَى أَبِي بكْرٍ تَسأَلُه ميراثَها، قَالَ: فَقَالَ لَها ما لَك في كتَابِ الله شَيء، وما لَك في سنة رسول الله صلى الله علَيه وسلم شَيء فَارجِعي حتى أَسأَلَ الناس، فَسأَلَ الناس، فَقَالَ الْمغيرةُ ابن شُعبةَ:حضرتُ رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم فَأَعطَاها السدس، فَقَالَ أَبو بكْرٍ: هلْ معك غَيرك؟ فَقَام محمد بن مسلَمةَ الْأَنْصارِي فَقَالَ مثْلَ ما قَالَ الْمغيرةُ ابن شُعبةَ فَأَنْفَذَه لَها أَبو بكْرٍ... [48].

وحديث سعيد بنِ الْمسيبِ، قَالَ: مر عمر في الْمسجِد وحسان ينْشد، فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشد فيه وفيه من هو خَير منْك، ثُم الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هريرةَ، فَقَالَ: أَنْشُدك بِالله أَسمعتَ رسولَ الله صلى الله علَيه وسلم يقُولُ: (أَجِب عني اللهم أَيده بِروحِ الْقُدسِ؟) قَالَ نَعم[49].

فنرى كيف استشهد المغيرةُ محمد بن مسلمة واستشهد حسان أبا هريرة لتثبيت صحة نقلهم وصدق ضبطهم.

وأما حلف الثقة ففيه: حديث أَسماء بنِ الْحكَمِ الْفَزارِي، قَالَ: سمعتُ عليا يقُولُ: إِني كُنْتُ رجلًا إِذَا سمعتُ من رسول الله صلى الله علَيه وسلم حديثًا نَفَعني الله منْه بِما شَاء أَن ينْفَعني بِه، وإِذَا حدثَني رجلٌ من أَصحابِه استَحلَفْتُه فَإِذَا حلَفَ لِي صدقْتُه، وإِنه حدثَني أَبو بكْرٍ وصدقَ أَبو بكْرٍ...[50].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه الطريقة إنما تصلح مع من اشتهر بالتقوى والصلاح دون الفساق، يقول الخطيب البغدادي: (ومعلوم أنه كان يحدثه المسلمون ويستحلفهم مع ظهور إسلامهم، وأنه لم يكن يستحلف فاسقا ويقبل خبره، بل لعله ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين، وكذلك غيره من الصحابة روي عنهم أنهم ردوا أخبارا رويت لهم ورواتها ظاهرهم الإسلام فلم يطعن عليهم في ذلك الفعل)[51].

سابعا: معرفة ضبط الراوي بالاختبار

وأظهر مثال على هذا حديث عروةَ بنِ الزبير، قَالَ: قَالَتْ لِي عائِشَةُ: يا ابن أُخْتي بلَغَني أَن عبد الله بن عمرٍو مار بِنَا إِلَى الْحج فَالْقَه فَسائِلْه فَإِنه قَد حملَ عنِ النبِي صلى الله علَيه وسلم علْما كَثيرا، قَالَ: فَلَقيتُه فَساءلْتُه عن أَشْياء يذْكُرها عن رسول الله صلى الله علَيه وسلم، قَالَ عروةُ: فَكَان فيما ذَكَر أَن النبِي صلى الله علَيه وسلم قَالَ: (إِن الله لَا ينْتَزِع الْعلْم من الناسِ انْتزاعا...) قَالَ عروةُ: فَلَما حدثْتُ عائِشَةَ بِذَلِك أَعظَمتْ ذَلِك وأَنْكَرتْه، قَالَتْ: أَحدثَك أَنه سمع النبِي صلى الله علَيه وسلم يقُولُ هذَا؟! قَالَ عروةُ: حتى إِذَا كَان قَابِلٌ قَالَتْ لَه: إِن ابن عمرٍو قَد قَدم فَالْقَه ثُم فَاتحه حتى تَسأَلَه عنِ الْحديث الذي ذَكَره لَك في الْعلْمِ، قَالَ: فَلَقيتُه فَساءلْتُه فَذَكَره لِي نَحو ما حدثَني بِه في مرته الْأُولَى، قَالَ عروةُ: فَلَما أَخْبرتُها بِذَلِك قَالَتْ: ما أَحسبه إِلا قَد صدقَ أَراه لَم يزِد فيه شَيئًا ولَم ينْقُص[52].

وفي رواية البخاري (فَأَتَيتُ عائِشَةَ فَأَخْبرتُها فَعجِبتْ فَقَالَتْ: والله لَقَد حفظَ عبدالله بن عمرٍو)[53] قال ابن حجر: (وفيه التثبت فيما يحدث به المحدث إذا قامت قرينة الذهول، ومراعاة الفاضل من جهة قول عائشة اذهب إليه ففاتحه حتى تسأله عن الحديث ولم تقل له سله عنه ابتداء خشية من استيحاشه)[54].

وتظهر هذه الوسيلة للتأكد من ضبط الرواة فيما رواه محمد بن عمرِو بنِ عطَاء، قَالَ: سمعتُ أَبا حميد الساعدي في عشْرة من أَصحابِ رسول الله صلى الله علَيه وسلم منْهم أَبو قَتَادةَ، قَالَ أَبو حميد: أَنَا أَعلَمكُم بِصلَاة رسول الله صلى الله علَيه وسلم، قَالُوا: فَلم فَوالله ما كُنْتَ بِأَكْثَرِنَا لَه تَبعا ولَا أَقْدمنَا لَه صحبةً؟! قَالَ: بلَى. قَالُوا: فَاعرِض. قَالَ: كَان رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم إِذَا قام إِلى الصلاة يرفع يديه... قالُوا: صدقْتَ هكَذَا كان يصلي صلى الله عليه وسلم[55]. فقولهم فاعرض صريح في إرادتهم التثبت من حفظه وضبطه بالاختبار.

النتائج

وبعد هذا التطواف وقفت على جملة من النتائج، أهمها:

- هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخبار التي كانت تصله من حيث قبولها وردها يمكن أن يستنبط منه بعض طرائق معرفة ضبط الراوي مرويه.
- ومن هذه الطرائق المستفادة من هديه صلى الله عليه وسلم:
  أ) معرفة ضبط الحديث بالرجوع إلى مصدر الحديث.
  ب) معرفة ضبط الراوي بموافقة الثقات له.
  ج) معرفة ضبط الراوي بشهادة الثقة.
  د) معرفة ضبط الراوي بحلف الثقة.
- تعددت الأسباب التي دفعت الصحابة إلى التثبت من ضبط الرواة لكن ليس في شيء منها الطعن بعدالة الرواة، ويمكن إجمالها بالنقاط التالية:

أولا: الاستجابة المباشرة لأمر الله وأمر رسوله في التثبت من الأخبار.

ثانيا: حرصهم على حفظ السنة النبوية ودفع التساهل في روايتها.

ثالثا: خشيتهم من خطأ الراوي لا تعمد الكذب.

رابعا: التأكد من ضبط من خالف علمه ما تلقاه الصحابي مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خامسا: خوفهم من أن يدخلوا في قوله صلى الله عليه وسلم (من حدثَ عني حديثًا وهو يرى أَنه كذب فَهو أَحد الْكَاذبِين).

- استفاد الصحابة رضوان الله عليهم أيما فائدة من هدي رسول الله في الأخبار قبولا وردا فطبقوا هذه الطرائق المستفادة من هديه وبنوا عليها، ومن الطرائق التي زادها الصحابة على تلك المستفادة من هديه صلى الله عليه وسلم:
  1- معرفة ضبط الحديث بعرض المحفوظ على الكتاب.
  2- معرفة ضبط الحديث بعرض الكتاب على المحفوظ.
  3- معرفة ضبط الراوي بالاختبار.
  4- معرفة ضبط الراوي بالرجوع إلى من هو أعلم وأحفظ.

الهوامـش

(1) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص35. وكلامه هذا إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خرجه مسلم في مقدمة صحيحه: (يكُون في آخرِ الزمانِ دجالُون كذابون يأْتُونكُم من الْأَحاديث بما لَم تَسمعوا أَنْتُم ولَا آباؤُكُم فَإِياكُم وإِياهم لَا يضلونَكُم ولَا يفْتنُونَكُم) مسلم، الصحيح، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها 12/1، ح7.

(2) الفراهيدي، العين، 23/7.

(3) ابن الأثير، جامع الأصول، 72/1- 73.

(4) ابن حجر، نزهة النظر، ص69.

(5) الشافعي، الرسالة، ص369-370.

(6) مسلم، الصحيح، المقدمة 4/1.

(7) ابن الصلاح، علوم الحديث ص106.

(8) السخاوي، فتح المغيث، 302/1.

(9) البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب: باب كفران العشير وهو الزوج وهو الخليط من المعاشرة 1995/5، ح4903.

(10) ابن حجر، فتح الباري، 38/3.

(11) العيني، عمدة القاري، 506/5.

(12) أبو دواد، السنن، كتاب الملاحم، باب: في خبر الجساسة، 521/2 ح 4326 وهو عند مسلم في الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة 2261/4، ح2942.

(13) البخاري، الصحيح، كتاب الجماعة والإمامة، باب: هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس 252/1، ح682.

(14) شرح العمدة، 433/4.

(15) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب:السؤال عن أركان الإسلام، 41/1 ح12.

(16) العيني، عمدة القاري، 31/2.

(17) تفسير ابن كثير، 226/4.

(18) تذكرة الحفاظ، 3/1.

(19) تذكرة الحفاظ، 6/1.

(20) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب: كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان؟ 767/2 ح5183 وصححه الشيخ الألباني.

(21) ابن عبد البر، التمهيد، 200/3.

(22) مجموع الفتاوى، 536/4.

(23) مسلم، الصحيح، كتاب الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه 641/2، ح929.

(24) البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا؟ 1923/4، ح4754.

(25) ابن حجر، فتح الباري، 25/9.

(26) الترمذي، الجامع، كتاب العلم، باب: وقال: هذَا حديثٌ حسن صحيح.

(27) الامام أحمد، المسند، 155/4، ح18266 وهو حديث صحيح.
(28) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب: ما يكْره من النياحة علَى الْميت، 80/2، ح1291.
(29) طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر 59/1 وقال: (وهكذا روي عن الزبير أنه رواه وقال أراهم يزيدون فيه متعمدا وا ما سمعته قال متعمدا).
(30) البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب 531/2، ح1393.
(31) ابن حبان، الصحيح، كتاب الرضاع، باب: النفقة 49/10، ح4237.
(32) النسائي، المجتبى، ذكر الأحاديث المختلفة في النهي عن كراء الأرض بالثلث والربع واختلاف ألفاظ الناقلين للخبر 47/7، ح3915، وأصله عند مسلم في الصحيح في كتاب البيوع باب النهي عن المحاقلة والمزابنة... 180/3، ح1547.
(33) مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: حجة النبي صلى ا عليه وسلم 886/2، ح1218.
(34) قوله "ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت" كذا النص ولعل معناه مخرج على نحو قوله صلى ا عليه وسلم "كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر" أحمد، المسند، 441/2، ح9683، وا أعلم.
(35) أحمد، المسند، 143/5، ح21325، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد قوي إن ثبت سماع عطاء بن يسار من أبي بن كعب، وانظر: ابن ماجه، السنن، كتاب الصلاة، باب باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها، 325/1، ح1111.
(36) ابن حبان، الصحيح،كتاب البيوع، باب: الربا 392/11، ح5017 – قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(37) ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الطهارات، باب: من قال إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، 85/1، ح947، أحمد، المسند، 115/5، ح 21134 بسند صحيح.
(38) البخاري، أبواب السهو، باب: ما جاء في السهو إذا قام من ركعتي الفريضة 411/1، ح586.
(39) مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي صلى ا عليه وسلم فيها بالبركة، 991/2، ح1361.
(40) تقييد العلم، ص41.
(41) مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب: منازلة الأكبر 2298/4، ح2493.
(42) النووي، شرح مسلم، 129/18.
(43) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب: سنة الصلاة على الجنائز 445/1، ح1260.
(44) أحمد، المسند 2/2 ح4453، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(45) فتح الباري، 195/3.
(46) مسلم، الصحيح، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، 12/1، ح7.
(47) البخاري، الصحيح، كتاب باب إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه فالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه 889/2.
(48) الترمذي، الجامع، كتاب الفرائض، باب: ميراث الجدة 420/4، ح2101 - قال أبو عيسى وفي الباب عن بريدة وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة.
(49) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة 1176/3، ح3040.
(50) الترمذي، الجامع، في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، 257/2، ح406 وقال: وفي الباب عن ابن مسعود وأبي الدرداء وأنس وأبي أمامة ومعاذ وواثلة وأبي اليسر واسمه كعب بن عمرو، قال أبو عيسى: حديث علي حديث حسن لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة.
(51) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص83.
(52) مسلم، الصحيح، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، 2058/4، ح2673.
(53) البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: إثم من آوى محدثا 2665/6، ح6877.
(54) فتح الباري، 287/13.
(55) أبو داود، السنن، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب افتتاح الصلاة 252/1، ح730، والترمذي في الجامع كتاب الصلاة باب وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، 1389هـ-1969م، مكتبة الحلواني وآخرين، ط1.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدا الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ا صلى ا عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق مصطفى ديب البغا، 1407هـ-1987م، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3.

البزدوي، علي بن محمد الحنفيى، أصول البزدوي - كنز الوصول

الى معرفة الأصول، مطبعة جاويد بريس، كراتشي.
الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.
ابن تيمية الحراني، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، شرح العمدة في الفقه، تحقيق سعود صالح العطيشان، 1413هـ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1.
ـــــ، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، 1426هـ-2005م، دار الوفا، ط3.
الجزائري، طاهر الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، 1416هـ- 1995م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1.
ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، 1414هـ-1993م، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط2.
ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 1379هـ، ومحب الدين الخطيب، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د.ط.
ـــــ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق عبد ا ابن ضيف ا الرحيلي، 1422هـ، مطبعة سفير، الرياض، ط1.
ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصر، مؤسسة قرطبة، د.ط، د.ت.
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أبو عبدا السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، دار الفكر، د. ط، د. ت.
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1403هـ.
الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق محمد أحمد شاكر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
ابن أبي شيبة، عبد ا بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، 1409هـ، الرياض، السعودية، مكتبة الرشد، ط1.
الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، 1403هـ، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط2.
ابن عبد البر، يوسف بن عبد ، التمهيد لما في الموطأ في المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ط، د. ت.
العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مراجعة صدقي العطار، 1425-1426هـ-2005م، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط1.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، د.ط.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، بيروت، لبنان، دار الفكر، د. ط، 1401هـ.
ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار الفكر، د. ط، د. ت.
مسلم، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.
النسائي، أحمد بن شعيب، المجتبى من السنن، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، 1406هـ-1986م، حلب، سوريا، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2.
النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

The Prophet’s Companions Investigation of the Narrator’s Accuracy (Reasons and Methods)

*Mohammad O. Al-Houri**

ABSTRACT

In this research I studied prophet’s companions "may God be pleased with them" interest in his Hadith "ordinary prophet tradition" to assure that no alteration or deviation had annexed to it, through there concentration upon the correctness and accuracy of the narrators, and what they had reported against the prophet "peace be upon him", the tools and parameters used to achieve this goal; which shows their precedence and seniority in setting up the standard measures to protect the prophet Hadith from any annexation, increase or decrease, intentionally or inattentively.

Findings shows variety of reasons drove them to do so; starting with: the obedience of the Qur'anic command through the ascertainment and verification of the news and reports, fear and anxiety of the narrator forgetfulness, mistake, incorrectness, mildness and carelessness which make him deceive and mislead, or narrator's report be in consistency with other report received directly from the prophet "peace be upon him".

Various strategies used to check narrator's correctness and accuracy i.e. going back to the report source to verify his sayings, comparing his correctness with other referential, testimony, taking the oath, comparing the memorized with the written, or by examination and test.

Keywords: Accuracy, Prophet’s Companions, Hadith.

* Department of Usal Addin, Faculty of Shari’a, Yarmouk University, Irbid, Jordan. Received on 10/2/2009 and Accepted for Publication on 30/6/2009.